المحاضرة السادسة: التعدد اللغوي

أ/ سارة مسعوداني

ثانيا: التّعدد اللّغوي في الجزائر:

يعدّ التعدد اللغوي سنة من سنن الحياة، وحكمة من حكم الله سبحانه وتعالى في خلقه، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة اللّغوية في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: 22)، فالتّعدد اللّغوي وجد مع الإنسان منذ وجوده، ولا يمكن إنكاره، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تجد مجتمعا يخلو من التّعدد اللغوي.

1/ مفهوم التّعدد اللغوي(Plurilinguisme): إنّ التّعدد اللغوي ظاهرة منتشرة في كل المجتمعات، وهو مصطلح يفضى إلى انتشار مجموعة من اللغات في مجتمع واحد، واستعمالها من قبل أفراده في مختلف المجالات الحياتية، وهو ظاهرة ترتبط بالفرد والمجتمع؛ فـ: "نقول عن دولة أنّها متعددة اللغات حينما يتم التّكلم فيها بلغتين مختلفتين على الأقل، ونقول عن شخص متعدّد اللغات عندما يكون بإمكانه التّعبير عن حاجياته ومقاصده والتّواصل مع غيره بأكثر من لغة؛ ويمكن إذن لمصطلح التّعدد اللغوي(Miltilinguisme) أن يحيل إلى استعمال اللغة أو قدرة الفرد، وعلى الوضعية اللّغويّة لمجتمع وأمة كاملة"[1]، أمّا ماكاي (Mackey) فيربط التّعدد اللّغوي بالفرد، ويعرفه قائلا: "التّعدد اللّغوي هو أن يتكلم الشّخص لغتين أو أكثر بإرادة منه وبتمييز اللغات بعضها عن بعض مدركا وواعيا كأن ينتقل من اللغة الأولى إلى اللغة الثانية

[1]: ينظر: مايكل كلين، التعدد اللغوي ضمن كتاب دليل السوسيولسانيات، تر: خالد الأشهب، ماجدولين النهيبي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2009م، ص649.

دون أن ينقل بعض أجزاء اللغة الأولى إلى الثانية"[2]، وانطلاقا من هذه التّعريفات يتضح أنّ التّعدد اللّغوي ظاهرة لغوية ترتبط بالفرد والجماعة، وتتمثل في استعمال كلهما للغتين أو أكثر في تحقيق العملية التّواصلية، وما يتعلق بها داخل المجتمع أو خارجه.

ويعدّ العالم العربي وتحديدا الجزائر من البلدان التي تنتشر فيها هذه الظاهرة اللّغويّة بأشكالها المختلفة (الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية) بحكم الاحتكاك الموجود بين اللغات والتي تضم العربية الفصحى بلهجاتها، وعامياتها، وما فيها من لغات أصلية ومحلية، ناهيك عن اللغات الأجنبية الموروثة منها، والمستحدثة بفعل العولمة والاتصال مع الآخر، ويمكن تقسيم هذه اللغات إلى:

1. **اللغة العربية:** أو كما يسميها البعض اللغة الكلاسيكية(Langue Classique) أو اللغة الأدبية(Langue littéraire)، وهي اللغة الرسّمية والوطنية للدولة الجزائرية منذ دستور1963م، وتعتبر هذه اللغة لغة الطبقة المثقفة، ووسيلة التّواصل الفكري والإبداع الأدبي، ولغة الثقافة والاقتصاد والسّياسة والصحافة والكتب والصحف الرسمية، ولغة التّعليم الرسمي في جميع المراحل التعليمية.

فاللغة العربية لغة نموذجية فرضت وجودها في الاستعمال اللّغوي في الجزائر وسيطرت على جميع القطاعات؛ باعتبارها لغة مكتوبة ومنطوقة تخضع لجملة من القواعد والقوانين، وهذا التّميّز والاختلاف عن اللهجات خلق لها مكانة مهمة في الدولة الجزائرية خاصة؛ حيث انتهجت في سياسة التّعريب، وفي التّعليم ووسائل الاعلام والاتصال دون استثناء[3].

---

[2]: Mackey W. F, Bilinguisme et contacts des langues, Ed Klincksieck, paris, 1976, p18.

[3]: ينظر: لاصب وردية، اللغة الأم والواقع اللغوي الجزائري، مجلة اللغة الأم، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دار هومة الجزائر، (د. ط)، 2007م، ص65.

وإنّ المتتبع لتاريخ اللغة العربية في الجزائر يَلحظ أنّ هذه اللغة لغة متأصلة في الواقع اللّغوي الجزائري؛ حيث كانت تعلم للصغار والكبار في مختلف دور التعليم من مساجد وزوايا وكتاتيب، وقد زادتها الصبغة الدينية قوة واستمرارا؛ فبسطت سيادتها، إلّا أنّها لم ترق إلى حد اليوم إلى الاستعمال الوظيفي في التواصل الاجتماعي اليومي؛ إذ بقي استعمالها محدودا ويقتصر على الطبقة المثقفة والإداريين[4]، ويرجع سبب ذلك إلى عدة أسباب التي أهمها الدعوات المتواصلة إلى استعمال العامية، وتفضيلها على اللغة العربية، والتي ترجع أصولها إلى الاستعمار الفرنسي الذي عمل جاهدا على القضاء على اللغة العربية، وعلى العلم والتّعلم من خلال استخدام سياسة التجهيل*.

2. **اللهجة العامية العربية:** يعدّ استعمال العامية إلى جانب اللغة العربية ظاهرة منتشرة في جميع أنحاء العالم العربي دون استثناء، وتعرف العامية بأنّها: "مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة لغوية خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة"[5]، وهي لغة أغلبية سكان الجزائر، فهي أداة التّواصل بين جميع النّاس، وتعتبر لغة الحديث والتّعاملات اليّوميّة، والعاميّات الجّزائريّة كثيرة ومتنوّعة، لا يسعنا الزّمان والمكان لذكرها جميعا، لكن يمكن توزيعها إلى أربع مناطق رئيسيّة، وهي:[6]

- **عاميّات الشّرق الجّزائريّ:** ومن أهم ولايات هذه الجهة نذكر: البويرة، سطيف بومرداس...إلخ

---

[4]: ينظر: ربيحة وزان، أثر الواقع اللغوي للمجتمع الجزائري في تعليمية اللغة العربية الفصحى _دراسة لسانية اجتماعية_ أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة1، الجزائر، 2018م/ 2019م ص39

*: سياسة التجهيل: سياسة استخدمتها السلطات الفرنسية ضد الشعب الجزائر تقوم في أساسها على إغلاق المدارس الاسلامية والمؤسسات التعليمية حتى عَمّت الأمية في الجزائر.

[5]: إبراهيم انيس، في اللهجات العربية، مطبعة أبناء وهبة حسان، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، (د. ط)، 2003م، ص15.

[6]: ينظر: المرجع نفسه، ص59.

- **عاميّات الوسط الجّزائري:** ومن أهم ولايات هذه الجهة نذكر: الجلفة، البليدة، عين الدّفلة...إلخ
- **عاميّات الغرب الجّزائريّ:** ومن أهم ولايات هذه الجهة نذكر: سعيدة، تلمسان، سيدي بلعباس...إلخ
- **عاميّات الجنوب الجّزائريّ:** ومن أهم ولايات هذه الجهة نذكر: تمنراست، أدرار إليزي...إلخ

3. **اللغة الأمازيغية (بلهجاتها المختلفة):** أو كما يسميها البعض اللغة البربرية، وهي "لغة سكان يدعون "إيمازيغن" وهم سكان استقروا منذ العصر النيوليتي* في فضاء جغرافي يمتد من البحر المتوسط إلى النّيجر، ومن المحيط الأطلسي إلى الحدود الليبية المصرية"[7]، وتعدّ اللغة الأمازيغية جزء لا يتجزأ من مكونات الشّخصية الوطنية التاريخية، فاللغة الأمازيغية هي اللغة الرّسمية لسكان شمال إفريقيا منذ القدم، وهي بالنّسبة لسكان القبائل وجبال الأوراس والطوارق اللغة الأولى، وقد تعايشت هذه اللغة مع اللغة العربية عبر الزمن، ولقرون عديدة دون تصادم أو خلاف.

أصبحت هذه اللّغة من بين اللّغات الرّسمية للدولة الجزائرية، حيث صادق البرلمان الوطني يوم 8 أفريل 2008، على ترسيخ الأمازيغية، وعلى ترقية البعد الأمازيغي بمكوناته اللّغويّة والثّقافيّة والتّاريخيّة الأنثروبولوجية، في تعليم اللغة الأمازيغية في الجزائر، وضمها إلى المسار التعليمي، وقد شرع في تدريس هذه اللغة في 16 ولاية من الجزائر، سنة1995م.

---

*: العصر النيوليتي: (العصر الحجري الحديث9000_46500 قبل الميلاد)، وهو المرحلة الأخيرة من عصر ما قبل التاريخ الذي عرف فيه الإنسان الاستقرار الدائم في قرى ثابتة من خلال توصله إلى الزراعة، وتدجين الحيوانات، وتطور الفكر الديني.

[7]: مصطفى الغربي، الفرانكفونية والتعريب وتدريس اللغات الأجنبية في المغرب، تر: محمد أسليم، مكناس، المغرب، ط1 1994م، ص13.

وتستخدم هذه اللغة بلهجاتها المختلفة في الجزائر، وتتوزع كالتالي:[8]

- **الشّاوية:** وهي لغة جبال الأوراس، إذ يتحدث بها السّكان الأمازيغ القاطنين في ولايات تابعة لتلك المنطقة، على سبيل المثال: باتنة، أم البواقي، خنشلة، تبسة، وجنوب ولاية سطيف.
- **التّرقيّة:** وهي لغة سكان الطوارق، وهم قبيلة موجودة في الجزائر، ويقطنون في مدينة توقرت.
- **الشّلحيّة:** وهي لغة تستعمل في مناطق متفرقة من التّراب الوطني، فليس لها منطقة محددة كالقبائلية والشّاوية، ومن أكثر المناطق التي تستعمل فيها هذه اللّغة: تيبازة الشّريط المحادي للمغرب الأقصى كمغنية.
- **الميزابية:** وهي لغة سكان بني ميزاب نسبة إلى المنطقة التي يقطنون بها، ويستوطن أهلها في مدينة غرداية، وبعض المدن الإباضية.

وقد بقيت اللغة الأمازيغية بلهجاتها المختلفة مفتقرة إلى لغة الكتابة، إلّا أنّها استطاعت أن تفرض وجودها بفضل قوتها التّعبيرية، وخلقت لنفسها مكانة في المنظومة التّربوية الجزائرية حيث تمت برمجتها في بعض الأطوار التّعليمية، وأصبحت تدرس كتخصص في الجامعات الجزائرية.

4. **اللغة الفرنسية:** تعدّ اللغة الفرنسية أحد أهم اللغات المشكلة للخريطة اللّغويّة في الجزائر وقد تزامن ظهورها في المجتمع الجزائري مع التواجد الكولونيالي الفرنسي في الجزائر الذي امتد من 1830م إلى1962م. وهي على حد تعبير "كاتب ياسين" بمثابة غنيمة حرب لابدّ من الاستفادة منها في خدمة مصالحنا، وأن نتعامل معها على أنّها لغة

[8]: ينظر: ربيحة وزان، أثر الواقع اللغوي للمجتمع الجزائري في تعليمية اللغة العربية الفصحى _دراسة اجتماعية_، ص36.

دخيلة[9]، وقد عمرت اللغة الفرنسية طويلا في المغرب العربي، وفي الجزائر على وجه الخصوص، حيث انتشرت في جميع أنحاء البلاد، وكان لها تأثير قوي، ومهم في الاستعمالات اللّغويّة فيها.

وتعتبر اللغة الفرنسية اللغة الأجنبية الأولى في الجزائر، وتستعمل عند قسم كبير من السّكان الجزائريين؛ إذ يعتبرونها بمثابة النّافذة التي يطلون من خلالها على العالم الآخر، وعلى الثّقافة الغربية، بل هناك من جعل منها لغته الأولى[10]، حيث أصبحت لغة تنافس اللغة العربية في عقر دارها، تستعمل في العمل، وفي التّواصل اليومي بين الأسر المثقفة.

أمّا على الصعيد التّعليمي فقد فرضت هذه اللغة وجودها منذ عهد الاستعمار حيث بقيت _ولمدة طويلة_ لغة التعليم، حتى عندما طبقت سياسة التّعريب في الجزائر سنة 1978م وأنشأت المدارس الأساسية، تفوقت اللغة الفرنسية على اللغة العربية، حيث كانت الثلثان من السّكان يُعلَّم باللغة العربية والفرنسية، في حين تُعلَّم اللغة العربية للثلث فقط. هذا وتُعلم اللغة الفرنسية اليوم بدءا من التعليم الابتدائي فالمتوسط فالثانوي، وصولا إلى الجامعة، ويتم توظيفها على نطاق واسع في الشُّعب العلمية والتّقنية في التعليم الجامعي، كما لها حضور قوي في مختلف وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة، وحتى المسموعة، ويستخدمها بعض فئات المجتمع في تواصلهم اليومي[11]، فاللغة الفرنسية _شئنا أم أبينا_ لغة لها حضور ومكانة في المجتمع الجزائري، نظرا لارتباطها التّاريخي والثّقافي بمختلف شرائح المجتمع، سواء اعترفت الجهات الرسمية أو لم تعترف، وفي هذا الصّدد تقول خولة طالب الإبراهيمي: "منذ الاحتلال إلى حد اليوم لازالت اللغة الفرنسية تحتل مكانة خاصة لدى طبقات اجتماعية ميسورة من الجزائريين خاصة في المدن الكبرى، حتى أصبحت بالنّسبة لديهم لغة التواصل اليومي والتّميز الثّقافي، كما

---

[9]: ينظر: لاصب وردية، الواقع اللغوي الجزائري، مجلة اللغة الأم، دار هومة، الجزائر، 2004م، ص69.

[10]: حسان هشام، زياني فتيحة، الواقع السوسيولساني في الجزائر في ضوء هيمنة اللغة الفرنسية _مقاربة بورديورية_، مجلة تاريخ العلوم، ع10، ديسمبر 2017م، ص109.

[11]: ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أنّها لغة المعاملات الإدارية والاقتصادية في الكثير من القطاعات الخدماتية والإنتاجية والصناعية والإعلامية؛ إذ احتلت الصحافة باللغة الفرنسية حيزا كبيرا من القراء حتى بداية التّسعينات"[12]، ويمكن التمثيل لهذا التّفاعل اللغوي الحاصل بين اللغات في الجزائر والتأثيرات المتبادلة بالشكل التالي :

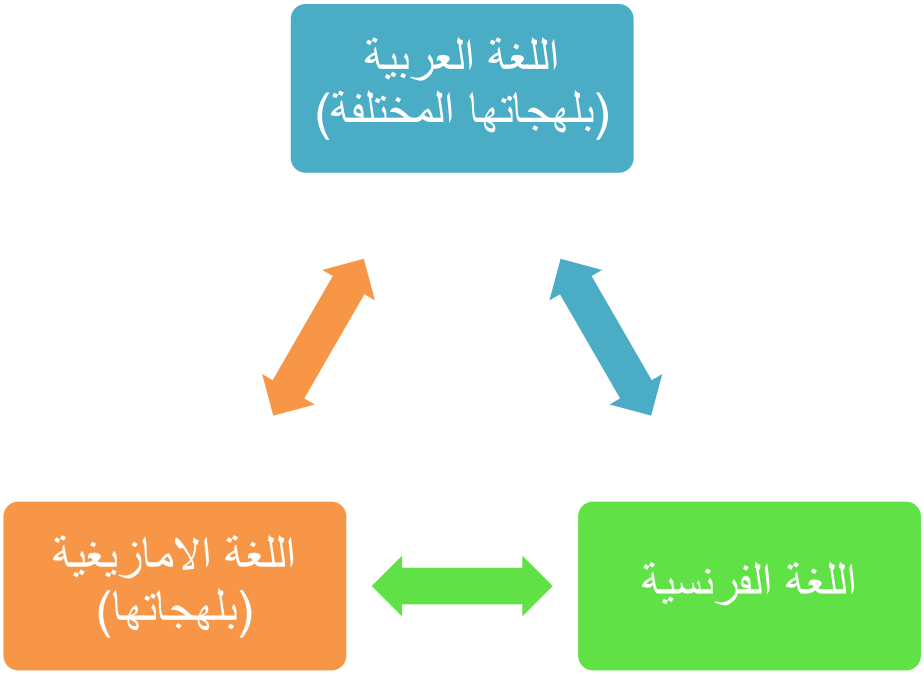

[12]: Khaoula taleb Ibrahimi, les Algériens et leurs langues: élément pour une proche sociolinguistique de la société Algérienne, 2éme Edition, les Editions El Hikma, Alger, 1997, p40.